

كوابح سياسية تعرقل تطوير العلاقات بين مصر والسودان

تحسن العلاقات مرهون بجدية الخرطوم في ملف المتطرفين



علاقات متذبذبة

الاتجاه في مسالة قطع الصلة مع مصر أو على الأقل فرملة أي اندفاع لتعزير عروبة السودان.

قادت هذه التذبذبات إلى احتفاظ الخرطوم بمروحة تقبل التأخر وترتضي به مع كل ما يحمله من أضرار، ولا تقبل التقدم مع كل ما يمكن أن يأتي به من مكاسب. وهي صيغة لم تعد خافية على كثيرين، ويتم استخدام مفرداتها في كل مرة تلوح فيها نية لتطوير العلاقات مع القاهرة.

لذلك سوف تظل هذه المعادلة كإحباط سياسي قويا لتصفية القضايا الخلافية بين الجانبين، وتحافظ على حد أدنى من التماسك في حالتها الصعود والهبوط، لأن التخلي عنهما يمكن أن ينقلب وبالا على الجميع، حيث يمتلك كل طرف أدوات تمكنه من التأثير على حسابات الآخر.

إلى أقصى مدى لتجنب اتهامات تصل إلى مستوى دمجها بـ "العمالة والتواطؤ" وكي يتسنى الانتهاء من المرحلة الانتقالية دون تكبد خسائر كبيرة.

تشدد بعض القوى السياسية السلطة الانتقالية بقوة إلى أسفل، وترفض أن تمنحها فرصة لتوثيق العلاقات مع مصر في المستقبل، كما تعمل جهات خارجية على رفع درجة التخريب عبر الدعم الذي تقدمه الأحزاب الإسلامية، وعدم الكف عن تحريض المواطنين تجاه أي بادرة إيجابية تتخذها الخرطوم نحو القاهرة.

علاوة على ترديد نغمة سادات عقب الإطاحة بنظام البشير، وتنادي بتثبيت أركان السودان نحو الدائرة الأفريقية، ومع كل ما يحمله هذا الطريق من مغالطات سياسية وأمنية، لكنه يجري توليفه بتعظيم الفوائد التي يحملها هذا

الخضوع للابتزاز في استمرار الصعود والهبوط وعدم الاستقرار على أي منهما، حيث تخشى الخرطوم من توطيد التعاون والذهاب إلى مدى بعيد فيه وما يحمله من اتهامات بتقديم تنازلات أو التفریط في حقوق سودانية، وما إلى ذلك من منظومة مكررة في مثل هذه الحالات.

تحريض الإسلاميين

قد تكون جهات متباينة في السلطة الانتقالية، بشقيها العسكري والمدني، على يقين من أن التعاون مع القاهرة في ملفي مكافحة الإرهاب وسد النهضة مفيد من النواحي الإستراتيجية، لكنها لا تستطيع التحرك بما يتواءم مع هذا التقدير الحيوي، وتفضل أن تبقى الأوضاع ساكنة

دعك من المعزوفة التاريخية التي ترددها دوائر عدة بخصوص الاستعلاء والاستغلال، أو حتى "الاستعمار" المصري - البريطاني للسودان، فمن السهولة بحضنها من خلال الرد عليها بوجود الملايين من المواطنين الذين يقيمون في مصر منذ سنوات بصورة طبيعية، وانظر إلى الحالة السياسية والإعلامية الخشنة الراهنة، فرغم رحيل نظام البشير لم ترحل معه الرواسب التي ترسخت نحو مصر، وهناك من يطربون لإشغال الحرائق السياسية.

كان هناك فريقا سودانيا يتفرغ لزيادة السخونة وعدم مباحة الخلافات لمكانها، والحض على استمرار مكونات التوتر حية في القضايا المزمنة ورفض تخطيها، ويقود الحرض على تفجيرها من وقت إلى آخر لتعكير المياه الصافية التي تستعد للجريان في نهر العلاقات بين البلدين، استنادا على حزمة من المصالح العليا.

تفجير قضايا شائكة

فشلت القاهرة في استمالة السودان إلى صفها في ملف سد النهضة الإثيوبي، وحافظت الخرطوم على موقفها الداعم لابريس آبابا، وهو ذاته الذي ساد طوال فترة حكم البشير. وكلما أوشك على التغيير أو مالت الحكومة لتبني

آخر محابيد، اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام المؤيدة للحركة الإسلامية في التحريض على مصر، وإعادة الإسطوانة المشروخة إزاء التذكير بالنزاع القائم حول مثلث حلايب وشلاتين والخطوة المصرية، والقضايا الاجتماعية التي يفضي تفجيرها إلى ردع أي خطوات إيجابية.

يبهو ملف سد النهضة من الموضوعات الشائكة التي يستغلها البعض للتفتيش على النظامين في مصر والسودان، حيث تتهم الأولى بأنها تسعى للهيمنة على المياه، وترفض المشروعات التنموية لدول المنطقة، ولم يتقدم حمدوك خطوة لتأكيد جدية

في القيام بوساطة أعلنها قبل نحو شهرين بين القاهرة والخرطوم، ولم ينفذ وعده بزيارة العاصمتين، أو يطرح مبادرة قابلة للحياة، وكل ما خرج منه تصريحات لتطليب المخاطر السياسية. تجاهلت السلطة الانتقالية التحذيرات التي أطلقها خبراء مياه حول وجود مخاطر يحملها سد النهضة بالنسبة إلى السودان، وتجاوزت النداءات التي طالبها بإعادة التفكير في موقفها الداعم لإثيوبيا، ليس حبا في أو مجاملة لمصر، بل دافعا عن مصالح الشعب السوداني المعرض لخسائر جمة حال اكتمال بناء السد من غير توفير الضمانات الفنية اللازمة.

ظهرت معالم استجابة الحكومة للمخاوف التي يثيرها البعض حول انجرارها نحو القاهرة ووصمها بالتبعية، في عجزها عن صياغة موقف يضعها في خندق واحد معها، وتسبب

تتوقع أوساط سياسية تحسن العلاقات السودانية - المصرية بعد تداول معلومات عن عزم حكومة الخرطوم تسليم عناصر تابعة لجماعة الإخوان المسلمين والمطلوبة جنائيا في القاهرة بعد أن أبدى السودان تقاعسا في هذا الملف، ومع ذلك يصطدم تقدم العلاقات بخطط الإسلاميين في السودان الساعين إلى عرقلة مسارها وإعادتها إلى مربع الصفر، إضافة إلى تعمد بعض الأطراف استغلال ملف سد النهضة لتفتيش العلاقات بين البلدين.

الشق الداخلي، من ملاحقة للغاسدين والمجرمين ممن ينتمون إلى النظام السابق ومصادرة لأموالهم.

أصبحت مطاردة القيادات والكوادر الإسلامية المتطرفة بعيدة عن مهام اللجنة والأضواء المسلطة عليها، وحتى الجهات الأمنية المسؤولة عنهم لم تقدم أدلة كافية تثبت تبني مقاربات جادة في هذا الملف، وهي التي التفت القبض على نحو سبعين من العناصر المصرية المتطرفة المقيمة في السودان، ولم تعمل على تسليمهم للقاهرة حتى الآن.

عندما وقعت محاولة اغتيال فاشلة استهدفت رئيس الحكومة الانتقالية عبدالله حمدوك في فبراير الماضي، أشارت أصابع الاتهام إلى فلول النظام السابق، لكن التحقيقات لم تكشف عن اعتقالات واسعة لهذا الغرض في صفوف الحركة الإسلامية وروافدها الحركية.

تنسيق محدود

أخفقت اجواء التفاؤل التي سادت بعد زيارة رئيس الاستخبارات المصرية اللواء عمر سليمان للخرطوم، وتمت في اليوم نفسه الذي حدثت فيه محاولة اغتيال، في تأكيد التعاون الأمني في مسألة العناصر الإرهابية المطلوبة من القاهرة، وتوقف التنسيق تقريبا عند الحدود الدبلوماسية.

بمعنى آخر تقاعس السودان عن تسليم أسماء كثيرة، مستندا إلى حجج مختلفة، ربما تكون الإدارة المصرية متفهمة لطبيعة الظروف الصعبة والمشكلات والتحديات التي تمر بها السلطة الانتقالية في الخرطوم، غير أنها تنظر إلى عملية التعاون في ملف المتطرفين عموما كدليل دامع على الرغبة الحقيقية في دفع العلاقات المشتركة إلى الأمام.

تدرك قوى إسلاموية سودانية خطورة التعاون بين البلدين، وتصمم على نشر العراويل والأباطيل، ووضع العلاقات على فوهة بركان، وكلما استشرعت تحسنا في زاوية، سياسية أو أمنية أو اقتصادية أو فنية، حشدت أدوات تفشيل التحسن، وافتعلت معارك جانبية، وتؤلب قطاعا من المواطنين على السلطة الانتقالية في الخرطوم، وتمنح الجسم العسكري فيها اهتماما خاصا، لأنها تخشى أن يؤدي تعاونها مع القاهرة إلى تغيير حاسم في منظومة القيم العدائية التي عمل نظام البشير على تكريسها ضد مصر، ولا تزال ملامحها حاضرة حاليا.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

جاءت تدهبات عقب أيام قليلة من وصول أربع طائرات مصرية إلى مطار الخرطوم محملة بمعدات طبية لمساعدة السودان في مكافحة فيروس كورونا، وهو ما وجد أصداء جيدة على المستويين الشعبي والرسمي، وقليل من حدة الاحتقانات المكتومة التي تلعب عليها بعض الجهات الرافضة لتطبيع العلاقات بين القاهرة والخرطوم، واستثمارها في استمرار توتر الأوضاع، وقد اختلطها أحيانا كلما تواصلت بوابر الهدوء.

قوى إسلاموية سودانية
تدرك خطورة التعاون بين
البلدين، وتصمم على نشر
العراويل والأباطيل، ووضع
العلاقات على فوهة بركان

تحتفظ العلاقات بدرجة من الحذر في التعامل مع القضايا المشتركة، فلا هي تميل نحو الدفء تماما ولا هي تدخل في فتور يقود إلى خصام، ويظل الود موجودا دون أن يصل إلى الوفاق، عكس الأمنيات التي صاحبت ثورة الشعب السوداني على نظام الرئيس عمر البشير خلال العام الماضي، وحملت سمات لطى صفحة قائمة وفتح أخرى جديدة على قاعدة دعاء النظام السوداني الانتقالي للتحارب الإسلامي.

جاءت التطورات اللاحقة بما لا تشتهي سفن القاهرة والخرطوم، فالأخيرة لم تظهر تعاونا كافيا في ملف مكافحة الإرهاب الذي يورق الأولى، ولم تتجاوب مع قوائم العناصر الإرهابية التي قدمت لها لتسليمها، وبدا التعاون في هذا الفضاء بطيئا، كانها تخشى تبعات تحرك حاسم من هذا النوع، واقتصر أعمال لجنة إزالة التمكين على

الكاتب الكوبي ليوناردو بادورا: نحن كورونا العالم

بيروغوريا الذي يؤدي دور رجل التحري كونه في مسلسل تلفزيوني يستند إلى رواياته البوليسية.



ليوناردو بادورا:

انتصر الكائن البشري على الجبهة البيولوجية التاريخية الطبيعية في العالم، لكن ظهرت حشرة صغيرة مجهرية قادرة على هزئنا

وحده الممثل عن منزله الجديد فقال له بادورا "أكثر ما أرغب فيه هو أن أجلس معك في الحديقة وأن نروي ما يمر بذهننا، هذا هو جوهر شخص مثل كونه".

وامام هذا الوضع الطارئ "قدما كل حرياتنا للحكومات من أجل الخير العام وهذا ضروري ولا بديل آخر، لكنه خطر". واستغل ليوناردو بادورا فرصة وجوده في الحجر لإنجاز روايته الأخيرة التي يامل أن يتمكن من عرضها في إسبانيا خلال السنة الحالية.

وقد تمكن خلال الفترة نفسها من ممارسة الرياضة، ويقول بفخر "فقدت سبعة كيلوغرامات من وزني".

وبات الكاتب يفكر في عمله المقبل حيث سيكون رجل التحري ماريو كوندو الشهير في رواياته البوليسية حاضرا في عام 2020، خلال جائحة كوفيد - 19. لكن كيف لهذا المنحرفي المحب للذات الحياة أن يعيش هذه المرحلة الغريبة؟ يطعي بادورا مؤشرا بقوله "اضطررنا فجأة إلى التوقف عن التقبيل والمداعبات، وعندما تحدثت عن التقبيل والمداعبات أكون بصدد الحديث عن شعور العاطفة الذي ينتاب شخصا مثلا مع هذه الحاجة إلى التواجد مع

أصدقائه". ويروي الكاتب أنه تحدث في الأيام الأخيرة مع الممثل الكوبي خورخي

عاما وقد برزت أكثر راهنا، وهي مشكلة المواد الغذائية".

إلا أن بادورا يشيد بإحدى نقاط القوة الرئيسية في بلاده، وهي إرسال أطباء إلى حوالي عشرين بلدا في العالم للمشاركة في محاربة كوفيد - 19 مع أن الولايات المتحدة تزد بطروف عملهم.

"الأطباء الكوبيين الذين انتقلوا للعمل خارج كوبا يستحقون كل احترامي ويجب عدم المساس بهم".

ويرى الكاتب أن الإنسان الذي يعتبر نفسه أقوى من كل عوامل الطبيعة عاد من خلال هذه الأزمة إلى خوفه من الموت.

ويضيف "انتصر الكائن البشري على الجبهة البيولوجية التاريخية الطبيعية في العالم، لكن ظهرت حشرة صغيرة مجهرية قادرة على هزئنا. ومن شأن ذلك أن يلقنا بعض التواضع".

ويذهب بادورا إلى ما هو أبعد من ذلك ليقول إنه يرى في ذلك انقاما من الطبيعة في عالم يشهد قطع أشجار الغابات والاحتراق المناخي والتلوث.

ويؤكد "نحن كورونا العالم، وفابيروس كورونا المستجد يجعلنا ندفع ثمن ما ارتكبناه في حق العالم".

ويقول الكاتب صاحب مؤلف "الرجل الذي كان يحب الكلاب" المستوحى من اغتيال ليون تروتسكي، "المشكلة الرئيسية التي واجهناها في كوبا خلال فترة الحجر هي مشكلة مستمرة منذ 60

ففي الجزيرة الخاضعة لحصار اقتصادي اميركي منذ عام 1962، تشكل الطوابير جزءا من المشهد اليومي وقد طالت أكثر بالنزاهة مع تفاقم النقص في خضم أزمة كوفيد - 19.



كورونا يجبر الإنسان على دفع ثمن استهتاره بالطبيعة

هافانا - يرى الكاتب الكوبي ليوناردو بادورا أن الإنسان غلب كل الكائنات على كوكب الأرض إلا أنه يجد نفسه محاصرا "من حشرة مجهرية"، مؤكدا أن العبرة المستخلصة من ذلك هي "أننا نحن كورونا العالم".

ويقول ملك الروايات البوليسية في كوبا "أجل كنا سعداء ولم تكن ندرك ذلك"، مضيفا "ثمة جملة أخرى تعجنني أكثر وهي: كنا بحال أفضل عندما كنا نظن أننا في حالة أسوأ".

ويذكر بادورا (64 عاما)، أحد أكثر الكتاب المعاصرين انتشارا في أميركا اللاتينية، أننا "نعيش فعلا الآن مرحلة لا تصدق في تاريخ جبلنا واعتني هنا الأشخاص الذين يعيشون هذه اللحظة ويتشاركون هذه اللحظة من حياة العالم".

في حديقة منزله، وعلى بعد مسافة معقولة، يرد الكاتب على أسئلة وكالة فرانس برس، وهو لمخور في حي مانتيا العزيز على قلبه في ضاحية هافانا حيث يشتد في شارع رايحة الخبز الطازج المتصاعدة من فرن مجاور لا يضطر إلى الوقوف في طابور أمامه.